Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

Psychological Narrative in the Novel 'Wilds of Fever'

Mohammed Saleh Khalaf

Asst.Prof/ College of Dentistry/University of Mosul

Article information

Article history:
Received September 28. 2022
Reviewer January 5. 2023
Accepted January 8. 2023
Available online June 1 .2023

Keywords:
characters
people
novel

Correspondence:
Mohammed Saleh Khalaf
drmohammedsalih@uomosul.edu.iq

Abstract

This research examines and analyses the psychological narrative in the novel (The Wilderness of Homeland) by Ibrahim Nasrallah, because of the importance of this tool in conveying events, as well as the writer's ability to employ it in a method that causes him getting into character of the novelist character in (Yatamaha) who is the narrator and knower of the hero character's psychological attitudes and. This makes it more human-related through its ability to dive into man's inner psyche, relying on an effective and influential context and studying human concerns, suffering and, psychological and physical conflicts. The impact of those conflicts on his life is driven serve human issues, which is the main tool that guides the narrative, and the process of building personalities in an attempt to alert to man's injustice, represented by the young teacher who has thrown the job into that remote part of the island, in which justice is absent and rights are usurped. So, the study came to highlight the psychological aspect of the characters. For it is difficult to isolate the dialogue from the other elements of the substantive work of description and dialogue. We found that the psychological narrative is achieved in the novel through the axis of psychological description, the monologue axis, and the soliloquy axis, without leaving a trace of fallacies, and to deal with events with vivid realism and high precision. Finally, the research ended with a conclusion of the most prominent results.

DOI: 10.33899/radab.2023.178496 ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

السرد السايكولوجي في رواية براري الحمى

محمد صالح خلف *

المستخلص:

* أُستاذ مساعد/كلية طب الأَسنان/جامعة الموصل.

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل السرد السايكولوجي في رواية براري الحمى لإبراهيم نصر الله؛ لما لهذه الأداة من أهمية في نقل الأحداث، فضلاً عن قدرة الكاتب على توظيفها بالشكل الذي جعله يتقمص الشخصية الروائية فـ(يتماهى)، السارد العالم بالتفاصيل مع شخصية البطل بحالتها ودوافعها السايكولوجية مما يجعلها أكثر تعلقاً بالإنسان بقدرتها على الغوص في ما يعتمل في النفس الداخلية للإنسان معتمداً في ذلك على سياق يقوم على التأثير والتأثر، ودراسة هموم الإنسان ومعاناته وما فيه من صراعات نفسية وجسدية على حد سواء. وتأثير تلك الصراعات في حياته ، يدفعه في ذلك خدمة قضايا الإنسان التي تعد البوصلة التي توجه مسار السرد، وعملية بناء الشخصيات في محاولة للتنبيه على حالة الظلم التي يعاني منها الإنسان متمثلة بذلك المعلم الشاب الذي ألقته الوظيفة في تلك المنطقة النائية من الجزيرة ، التي تغيب فيها العدالة وتغتصب الحقوق ؛ لذلك جاءت الدراسة لتسلط الضوء على الجانب النفسي من الشخصيات ؛ ولصعوبة عزل الحوار عن باقي عناصر العمل الفني من وصف وحوار، فقد وجدنا أن السرد السايكولوجي يتحقق في الرواية بمحور الوصف النفسي ، ومحور المونولوج ، ومحور المناجاة ، دون أن يترك ذلك أثراً للمغالطات، وأن يتعامل مع الأحداث بواقعية حية ودقة عالية، ثم انتهى البحث بخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي خرج بها البحث.

الكلمات المفتاحية: الشخصيات، الإنسان، الرواية.

المقدمة:

عرف السرد بأنَّه " أداة قصصية تنقل بها الأحداث والأفعال، وهو نقل يتم على وفق منطق خاص، تختلف ضروبه باختلاف الأنواع القصصية والمذاهب الفنية وغيرها من العوامل"[(1)]، أي إنَّه الكيفية التي تروى بها الأحداث بالقناة التي تصل بين الراوي والمروي له، وما تخضع له تلك الكيفية من مؤثرات بعضها يتعلق بالراوي والمروي له ، والبعض الآخر يرتبط بالقصة ذاتها[(2)] ، والأعمال الأدبية على اختلاف أنواعها هي بطبيعة الحال منتجات أيديولوجية ، وكلمات كتابها. " هي دائماً عينة أيديولوجية ، واللغة الخاصة برواية ما تقدّم دائماً وجهة نظر خاصة عن العالم"[(3)] ، هذا فضلاً عن أن تلك اللغة يجب أن تنسجم مع الثقافة التي تحملها كل شخصية و الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها .

إنَّ تتبعنا لحركة السرد والمراحل التي مر بها يقودنا إلى أنَّ هذه الحركة قد نقلت الشخصية المركزية من شخصية الآلهة وأنصاف الآلهة ، ثم إلى شخصية الإنسان غير الأرضية ، ثم بعد ذلك الشخصية الأرضية التي لها علاقة بصورتها القديمة وما كان يرسم لها أو يحاط بها ، وأن هذا الانتقال و التغيير في حركة السرد وتاريخه بصورة عامة والشخصية على وجه الخصوص أحدثت تغيرات كبيرة على مستوى العلاقة بين الرواية والمتلقي أو القارئ ، فالعلاقة التي سبقت هذه المدة لم تكن بالمستوى والقوة التي أصبحت عليها الآن ؛ وسبب ذلك يعود إلى أن الرواية اليوم أصبحت تحاكي هموم الناس وتفاصيل حياتهم اليومية، وهذا ما جعلها أكثر قرباً من القارئ ، وسبب ذلك كما قلنا قرب شخصياتها من حياة الناس وأماكنهم وتفاصيل حياتهم ، هذا فضلاً عن محاكاتها لعوالم الناس الداخلية مما جعلها تبدو أكثر معقولية و مقبولية عندهم ، فضلاً عن طبيعة الموضوعات التي تعالجها ذات الصلة المباشرة بحياة الناس وسلوكياتهم اليومية ، فهو يتعامل مع فضاءات السرد الزمانية والمكانية بواقعية حيَّة تصور لنا أحداثاً معينة توهم القارئ بأن ما يقدمه الكاتب، وما يقرأه من أحداث هو حقيقي، على الرغم من أن المكان هو شبه متخيل ، والشخصيات كلها متخيلة والأحداث بطبيعة الحال كلها متخيلة ، ولكن تقنيات التشكيل ورسم ملامح الشخوص بل وبناء الأحداث يستلهم واقعاً تاريخياً بعينه عرفته تلك المنطقة العربية ، يعالج موضوعات غاية في الأهمية بصرف النظر عن قربنا أو بعدنا عن تلك الحقبة التي تجري فيها الأحداث، وعلى الرغم من ذلك فإن الأدب هو فن زمني بمعنى" أن الزمن هو وسيط السرد عن خبرات الحياة تماماً كما هو وسيط هذه الخبرات ، أو بعبارة أخرى ، وسيط الحياة نفسها ما دام الإنسان يعيش في الزمن، ومن ثم فكل من الزمن والسرد الحياة تبدو مرادفات لشيء واحد"[(4)] ، والقارئ لرواية براري الحمى يجد أنها أكثر تعلقًا بالإنسان من خلال قدرتها على الغوص فيما يعتمل في نفسه وفي أغواره الداخلية ، يعتمد في ذلك على سياق يقوم على التأثير والتأثر، ولا سيما عن طريق دراسة هموم الإنسان ومشاغله، وما فيه من صراعات جسدية ونفسية على حد سواء وتأثير تلك الصراعات في حياته ، وهذا ما جعل (إبراهيم نصر الله) يعتمد في روايته هذه على خدمة قضايا الإنسان التي تعد شغله الشاغل ، لتكون البوصلة التي توجه مسار السرد وعملية بناء الشخصيات، في محاولة منه للتنبيه على حالة الظلم التي يعاني منها الإنسان، متمثلة بذلك المعلم الشاب الذي جاءت به الوظيفة ليدرَس في منطقة نائية منعزلة في الجزيرة العربية ،

(1) تجليات علم السرد، قراءات تنظيرية وتطبيقية، د. منال عبد العزيز، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2018: 14.

(2) ينظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي،حميد الحمداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 2000: 45.

(3) المتكلم في الرواية، ميخائيل باختين، ترجمة: محمد برادة ، مجلة فوصول - المجلد الخامس، العدد(3)، لسنة ١٩٨٥ - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة: 105.

(4) أفضية الذات - قراءة في اتجاهات السرد المصري - سيد الوكيل، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط1، 2006 : 57.

وكيف غابت العدالة الاجتماعية ، واغتصبت الحقوق وحرم الناس من أبسط مقومات الحياة التي تحفظ كرامة الإنسان وإنسانيته ، إن التعرض لهذه القضايا ذات الصلة بتجارب الحياة اليومية للأفراد و تفاعلاتهم واهتماماتهم ساعد كثيراً على نجاح الكاتب في مهمته ؛ لأن شخصيات الرواية " تحدد انطلاقاً من أفعالها وأدوارها وعلاقاتها ووظائفها وقيمتها؛ ولذلك يجب النظر إلى النص السردي انطلاقًا من المعنى الكلي الذي تحمله الشخصية الروائية، من أبعاد خارجية وداخلية وفكرية واجتماعية وسياسية ، فهذه الوضعيات تنعكس على الفضاء العام للرواية بأحداثها وآفاق انتظارها "[1] ، وعند التعرض لأي عمل أدبي بالدراسة والتحليل نجد أنه من الصعوبة عزل عناصر العمل الفني في الرواية من سرد ووصف وحوار عن بعضها؛ لما لهذه العناصر من تداخل في الأداء ؛ كونها جميعاً تعمل على إيصال النص إلى المتلقي، وأن أي حديث عن أحد هذه العناصر هو بطبيعة الحال، محاولة اقتراب من العناصر الأخرى المتداخلة والممتزجة معه في بناء النص الروائي؛ لأن أي نص روائي هو بطبيعة الحال مقاطع سردية ووصفية وحوارية ، لذلك نجد أغلب الدراسات تتحدث عن علاقة السرد بالوصف ، وعلاقة السرد بالحوار، ومن هذا المنطلق جاءت الرغبة في دراسة هذا العنصر من عناصر العمل الفني الأدبي في رواية (براري الحمى)، لعلاقته الحميمية مع باقي العناصر الفنية الأخرى ، فضلاً عن أن محاولة تحديد ماهية السرد تعد من الصعوبة بمكان ، ولعله من الأمور التي تنطبق على السرد في محاولة تعريفه، أو تحديد طبيعة علاقته بالعناصر الأخرى؛ لأنَّه ذلك الوصف المشهور بالسهل الممتع ؛ كونه يشمل ضمن وسائله استعراض الأحداث وتقديمها ووصفها، كما يشمل أيضا المذكرات واليوميات والرسائل وغيرها [2]، هذا فضلاً عن أنه إحدى الطرائق التي يقدم بها الكاتب أحداثه وشخصياته وموضوعاته في أعماله الروائية على اختلاف أنواعها، وقد وجدنا أنَّ السرد السايكولوجي في الرواية تحقق بالمحاور الآتية :

1. محور المونولوج .
2. محور الوصف النفسي .
3. محور المناجاة .

وقد وظف الكاتب الجانب النفسي ببراعة شديدة، بل تقمص الشخصية، وهذا ما جعل السارد يتماهى مع الشخصية بحالتها ودوافعها السايكولوجية فجاء الوصف والحوار على أفضل ما يكون، دون أن يترك أثراً للمغالطات أو الانحيازات ؛ إذ استطاع أن يتعامل مع الأحداث بواقعية حية تصور ما يجري بدقة عالية.

المونولوج الداخلي :

يعد الحوار عمومًا نمطاً تواصلياً في الرواية ؛ إذ يتبادل و يتعاقب الأشخاص على الإرسال والتلقي، وهو نوع من انواع الحوارية التي هي نوع أدبي لتوليد الأصوات وتعددها [3] ؛ لأنَّه تجسيد للأقوال المتبادلة بين الشخصيات منذ لحظة الالتقاء إلى الافتراق[4]. ، فضلًا عن أنه تمثيل للتبادل الشفاهي " وهذا التمثيل يفترض عرض كلام الشخصيات بحرفية سواء كان موضوعاً بين قوسين أو غير موضوع " [5] ، والحوار على أنواع لكل منها: صفاته ووظائفه ، سنعمد الى تناول غير المباشرة منها المتمثلة بالحوار الداخلي والمناجاة، كونها تسهم في " عرض أفكار الشخصية وانطباعاتها أو مدركاتها دون وساطة من الراوي"[6] ، والحوار الداخلي هو الكلام الذي تقوله الشخصية ولا يتطلب محاوراً يتجه من الشخصية وإليها، وهو حديث لا مستمع له ؛ لأنه غير منطوق "[7] وهو المعني بالجوانب النفسية من الشخصية ولا ينتابه الخلط والاضطراب في التداعي، " فالمونولوج هو التكنيك المستخدم في القصص، بغية تقديم المحتوى النفسي للشخصية والعمليات النفسية لديها" [8] ، ويعود أصل هذه التقنية الأدبية إلى المسرح ولاسيما حين تخاطب الشخصية الممثلة نفسها على خشبة المسرح [9]، وتجدر الإشارة إلى أن " للحوار الداخلي مثل الحوارات الخارجية دوراً في إضفاء الحوارية والتعددية الصوتية على النص الروائي". [10]

المونولوج الداخلي كذلك تساعد الحوارات الداخلية على " تقصي الحياة الباطنة للشخصية والتعرف على ما يتردد فيها من أفكار، وانفعالات ورغبات وهموم، وآمال وتناقضات و توافقات تجاه الحياة الإنسانية [11] ، والقارئ لرواية (براري الحمى) يجد أنها تقوم

---

(1) تجليات علم السرد، قراءات تنظيرية وتطبيقية ، د. منال عبد العزيز، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، ط1 ، 2018 : 28.
(2) ينظر: دراسات في نقد الرواية ، طه وادي ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1989 : 45.
(3) ينظر: معجم المصطلحات الادبية، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، الدار البيضاء، 1985: 78-79.
(4) ينظر: معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، اشراف: محمد القاضي، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين ، ط1 ، 2010: 158- 159.
(5) معجم مصطلحات نقد الرواية ، لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ، ناشرون ، دار النهار للنشر، ط1، 2002: 79.
(6) قاموس السرديات ، جيرالد برنس، ترجمة: السيد إمام ، ميريت للنشر والمعلومات القاهرة ، ط1، 2003: 79.
(7) القصة السايكولوجية، ليون أيدل ، ترجمة : محمد السمرة ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، 1959: 116.
(8) تيار الوعي في الرواية الحديثة ، روبرت همفري : 44.
(9) ينظر: معجم السرديات ، محمد القاضي وآخرون: 432.
(10) أسلوبية السرد العربي (مقاربة أسلوبية في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ)، د. رشاد كمال مصطفى، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، سورية ، 2015: 193.
(11) لعبة الضمائر، دراسات في النص القصصي من عام 1979- 1996، حسن البدراني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011: 172.

بشكل أو بآخر على هذا النوع من الحوارات ومن التعددية الصوتية التي أضفت عليها طابعاً خاصاً يحاول الراوي من خلالها إبراز حدة الأفكار المتشابكة والمتداخلة في أعماق البطل ودواخله، وهذا ما يجعله يكثر من تلك الحوارات الداخلية:

- بعد أن أكثر من يد طرقت الباب وأكاد أقسم على ذلك. لم يكن نومي غزلانياً ولا صحوتي أيضاً، ثم يستطرد بعد ذلك:

- حتى هذه اللحظة لم يكن ما يحدث في الخارج يشير إلى أنني قد صحوت، كما أني لم استطع أن تأكد من وجودي في عالم اليقظة الكسول...

- مجرد أن قالوا لي: إنني قد مُت، وأنَّ علي أن أدفع مئة ريال مساهمة مني في نفقات دفني، أدركت أن مؤامرة تحاك ضدي.[1]

يفتح الراوي أحداثه الروائية بالحوار الداخلي لينقلنا مباشرة إلى الحدث الرئيس في الرواية دون أية مقدمات تذكر، فيضعنا عن طريق تقنية المونولوج الداخلي في قلب الحدث الرئيس ، وهو أن مجموعة من الأشخاص تطرق عليه باب غرفته التي يسكن فيها في ذلك الامتداد الشاسع ، وفي تلك الليلة المظلمة لتطلب منه المشاركة في تكاليف دفنه بعد أن أيقظوه من نومه . إنَّ هذه الحوارات الداخلية تعكس لنا حالة اللا منطقية التي تعيشها الشخصية، فضلاً عن تصويره للجو الحزين المشحون بالسلبية والحزن الذي يبدو واضحاً عليه وعلى مفرداته التي تعكس أزمته الداخلية :

- فانتفضوا من حولي وهتفوا معاً وهم يبتعدون:

ولكننا سنواصل جمع التبرعات لدفنك!

- وكان هذا يتم كلما ابتلعت الصحراء احد المدرسين.

كنت سأقول لهم: إنني أعفيهم من هذه المهمة، لكنهم اختفوا، من الليل جاؤوا وإليه يعودون[2]؛ فالشخصية تعاني إحباطاً كبيراً سببه طبيعة الحياة التي تعيشها والتي ولدت لديها نوعًا من الهذيان والشعور بالقلق والاغتراب، فهي مثقلة بالهموم ترزح تحت وطأة السنين، يقدم الكاتب من خلالها احداثاً ترسم واقع الحياة المعاشة، وما يعتريها من ضجر وسأم، فهي مأخوذة من واقع حقيقي، برموزه وأنماط تفكيره وطبيعة تعالقاته، والشخصية المحورية في الرواية هي شخصية المعلم السعودي، هذه الشخصية التي تلجأ إلى الاغتراب الداخلي الذي قد يكون سببه السعي وراء وظيفة أفضل أو حياة أكثر كرامة أو استعادة لذاته الضائعة أو خلقاً لعالم مغاير يحقق الإنسان فيه وجوده، ويثبت ذاته ويحاول أن ينأى به عن ماضي يلاحقه [3] ، وهذا واضح على طول سير الأحداث :

هدرت محركات درجاتهم، أضيئت أنوارها، ففرت الثعالب، وتململت دجاجتي البيضاء، الرابضة على جذع يابس فوق باب الغرفة يخرج من بين صخور الجدار ويذهب في العتم...وما أن ابتعدوا حتى انتابني الحزن فجأة عليَّ، كنت عادياً إلا من خوفي، ووحيداً إلا من حدود الغياب، فبدأت فصلاً طويلاً من البكاء .[4]

هنا يقدم الكاتب لنا وصفاً خاصاً للمكان مستعيناً لذلك بالمفردات التي ينتزعها من البيئة التي تعيش فيها هذه الشخصية ليصور لنا ما تقع عليه عينه، فيقدمه بطريقة فنية بعيدة عن الإنشاء الأجوف ؛ ليعكس لنا بذلك طبيعة الحياة التي تعيشها تلك الشخصية وتأثير المكان في تشكيل الحالة النفسية التي هي عليها والمرتبطة بطبيعة حياتها.

وهذه واحدة من الوسائل التي يستعين بها الكاتب في توظيفه للحوار الداخلي الذي قد يستغله في تطوير الأحداث واستحضار الحلقات المفقودة منها إلا أن عمله الحقيقي في هذه الرواية وهو رفع الحجب عن مشاعر الشخصيات واحاسيسها وعواطفها المختلفة، فضلاً عن شعورها الباطن تجاه الأحداث أو الشخصيات الأخرى ، وهذا ما يطلق عليه عادة البوح أو الاعتراف[5] ، وهو بالفعل ما يحصل مع البطل الروائي الذي يجسد لنا واقعاً معيناً يعيشه، وهو يعرض لنا ذلك الواقع بكل همومه وتفاصيله الدقيقة مستعيناً بجماليات الخطاب السياسي الذي يشكل في عصرنا الحاضر ضرورة ملحة تفرضها حاجة الإنسان الذي أصبح لايستطيع العيش بمعزل عن التفكير في هموم الواقع، فالمضامين الفنية التي أصبحت الرواية تجسدها اليوم لا يمكن عزلها عما تمور به الساحات الإقليمية والدولية من قضايا تحاصر بحضورها الفرد في البيت أو الشارع أو العمل، والرواية بوصفها ملحمة العصر الراهن اثبتت أنها الأقدر، بفضائها واسلوبها، على امتصاص جميع الخطابات واللغات والايديولوجيات، هذا فضلاً عن أنَّ الروائي مطلوب منه أكثر من غيره التقاط التناقضات وربطها بعللها وتداعياتها[6]، مهما كانت تلك التفاصيل صغيرة أو كبيرة، المهم أنها تستحق الوقوف عندها بهدف معالجتها وتسليط دائرة الضوء عليها ولفت الانتباه إليها، فهناك لحظات تكتسب أهمية خاصة في حياة الشخصية يحاول المبدع أن يكتشفها في الشخصية نفسها؛ ليعمد من خلالها إلى الترجمة الطبيعية للحياة التي تعيشها تلك الشخصية، كما يحصل في مجيء أولئك الأشخاص

---

(1) الرواية : 6.

(2) الرواية: 8.

(3) ينظر: هندسة الرواية ، دراسة في بنية السرد الموازي عند محمد قطب، عبد المنعم زكريا، عين للدراسات والبحوث ، ط1، 2016: 189.

(4) الرواية: 8-9.

(5) دراسات في القصة العربية الحديثة، محمد زغلول سلام : 35.

(6) مستويات اللغة في السرد العربي المعاصر (دراسة نظرية تطبيقية في سيمانطيقا السرد) ، محمد سالم محمد أمين الطلبة ، مؤسسة الانتشار العربي، العربي، بيروت، ط1، 2008: 101.

عليه في الرواية يطلبون منه أجور دفنه، فهذه اللحظة تنورية للشخصية ، يسلط عليها الكاتب اهتمامه ويكررها أكثر من مرة ؛ لأنها قد تعد الحدث الأساس في الرواية، الذي ينسج على منواله مشاهد ومواقف، فضلاً عن أنها تعبير عن الحالة النفسية التي تمر بها تلك الشخصية، التي قدر لها لسبب من الأسباب أن تكون ضحية كما هو حال غيرها من المدرسين الذين تبتلعهم الصحراء باستمرار[1] ، ولماذا الصحراء، إنها رمز العجز، ورمز الوهن والضعف، ورمز الموت والهلاك، ولاسيما عندما يلقى فيها الفرد، دون أن يتسلح بأي سلاح من شأنه أن يعينه على المواجهة والاستمرار؛ فالصحراء هنا تسهم إسهامًا فعالًا في إضاءة الرواية ، وإثراء مقولتها وموضوعها العام ؛ إذ تسهم في تعميق فكرة الإحساس بموضوع الرواية برمته فحين يقدم الكاتب روايته يصف لنا حالة الشخصية وهي تصارع الجدب والحر والتيه في تلك الصحراء الممتدة:

((- الرمال تحت قدميك شوكية... حارة ، والمسافات التي تقطعها لا تلبث أن تترامى أمامك من جديد كأنك تركض في مكانك[2] ، وفي موضع آخر يصف فيه شدة الحر:

- لن تصل الشمس قبل الثامنة والنصف... وحين تصل سيكون العالم عرضة للظهيرة السابحة في حمم أيار)).[3]

هنا نلاحظ أن هذا الوصف للفضاء ساعد كثيراً على تطور الحدث على وفق رؤية خاصة لما للمكان الذي تعيش فيه الشخصية من دور في تشكيل دلالات ومعانٍ خاصة مرتبطة بشكل مباشر بالشخصية التي تقطنه فهو عنصر أساس لايمكن بأي شكل من الأشكال تجاهله ؛ لماله من دور في الولوج إلى بنية الرواية حين يتوقف تحديده في العمل الروائي على علاقة الشخصية به؛ لتتحول بذلك من وجود جغرافي جامد إلى وجود مكثف وثري بالدلالات والمعاني ، كما يقدمه الراوي بواسطة رؤية خاصة [4]، لذلك نجده يولي المكان عناية خاصة كونه يمثل الشخصية ويرتبط بها ارتباطاً مباشراً ليشكل معها حالة أكبر من كونه غطاءً لها، فلغة البطل ما هي إلا انعكاس لوعيه الاجتماعي والثقافي، فضلًا عن ارتباطها بتكوينه الثقافي والاجتماعي ، فالكلام ينطبع بسمات المتكلم الفردية المرتبطة بعوامل ثقافته ، وبيئته ونشأته وتجربته .[5]

الوصف النفسي:

يضطلع الوصف بهذه الوظيفة في الحالات التي يكون فيها التعبير الوصفي يهدف إلى تقديم ملامح الشخصيات ونفسياتها، فضلًا عن تعيين اللباس والمنازل والقصور أو الأماكن المختلفة بهدف الإسهام في تشكيل انطباع محدد لدى المتلقي وبالتالي يؤدي إلى تقوية الأشكال السردية، مما يتيح إمكانيات تشغيل ديناميكية تزيد من بلاغة التعبير في المواقف والأحداث[6] ، كذلك يكشف لنا الوصف النفسي عن دواخل الشخصيات وما تحمله من أفكار عن طريق تفسير سلوك الشخصية، وهذا ما تم الكشف عنه بالإيحاء أو بالإشارة وبهذا يحمل الوصف دلالة الرمز[7] وللوصف أكثر من وظيفة تسهم جميعها في خدمة الأحداث وتطورها كونها تُعدُّ وسيلة من وسائل تصوير المشاعر الإنسانية والعواطف البشرية، وتتمثل بقدرتها على إضافة الآثار الجميلة في دقة تصويرها وصدق تأثيرها في المتلقي[8]، وهذا ما يمكن أن نستشعر به على طول خط سير الأحداث في الرواية ؛ إذ يوظف الكاتب الجانب النفسي بسرعة كبيرة ويتقمص الشخصية ليحل محلها، بحالتها وشعورها السايكولوجي ليقدم لنا وصفاً أفضل ما يكون ، في محاولة منه لاستبطان الذات الإنسانية وتعرية أدق التفاصيل التي تخفيها الشخصية في داخلها العميق ، فلكل واحد منا حياة يظهر جزءٌ منها ويختفي آخر، وهذا الآخر يكون في منطقة الأسرار، وهو ما يجعلنا نتساءل لماذا نمتلك تلك الازدواجية المغلقة؟ ولماذا لا نستطيع المواجهة؟ ويعود هذا على ما يبدو إلى المجتمع الذي لا يستطيع التعبير عن ما في داخله؛ بفعل القوانين والقيود الحاكمة، وهذا واضح في أكثر من موضع في الرواية:

– الليل شوارع ... وجوه... ماعز ورعاة.. أفاعٍ تزحف باحثة عن نسمة رطبة وأضواء لم تشعل بعد حكايات لم تقل قامات ارتدت ظلالها ونجوم تستطيع أن تعدها الآن بسهولة من خلال سقف الغرفة، من خلال هذا الدوران الشاحب.. كان يجب عليك أن تتحسس رأسك حتى تتأكد أنه ما زال موجوداً .[9]

---

(1) ينظر: الرواية: 8.
(2) ينظر: الرواية: 11.
(3) م . ن: 13.
(4) ينظر: حركية السرد الروائي ومناخاته في استراتيجيات التشكيل، كمال الرياحي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2005: 95.
(5) ينظر: الحوار القصصي تقنياته وعلاقاته السردية، فاتح عبد السلام، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1999: 191.
(6) ينظر: في مناهج تحليل النص السردي، عمر عيلان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات (2) ،2008: 120.
(7) ينظر: بنية النص السردي ، من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1991: 80.
(8) اللغة والتفكير الاستدلالي، د. اكرم صالح محمود خوالدة، دار الحامد للنشر والتوزيع، الاردن، ط1، 2016: 106.
(9) الرواية : 38.

إن هذا العرض وهذا الوصف للحالة النفسية التي تعيشها الشخصية بنظرتها إلى العالم الذي يحيط بها أضفت على النص طابعاً خاصاً وسمة خاصة تصف لنا أكثر من ظلام يعيشه الأفراد، فالراوي هنا لا يقصد من ذلك ظلام الليل إنما ما يريده هو الظلام الثاني الذي تعيشه الجزيرة، ظلام التيه والضياع ظلام الجهل الذي جعل الانتظار سمة ملازمة للأفراد ، انتظار المجهول على أمل أن تشتعل الأضواء، وتنطلق الحكايات وتأخذ تلك القامات حقها في الحياة الكريمة، وحقها في الوجود، ولا يمكن لغير الوصف أن يضفي على النص هذا الطابع الفني الأدبي الذي يختزن حياة مجتمع بكل تفاصيله ومعاناته بجمل قصيرة؛ لأنّ الوصف هو من يبعث الروح ببقية مكونات النص السردي؛ إذ يُعدُّ الوصف سمة بارزة من مميزات الكتابة، وأداة فنية تساعد على تطوير حبكة الرواية، فلا تكاد تجد فقرة من فقرات الرواية خالية من جملة وصفية، وذهب البعض إلى أنه من لا يتقن لغة الوصف لا يتقن الكتابة؛ لأن نقل الأشياء إلى القارئ برسمها ولونها ورائحتها وكل ما يكون وجودها يحتاج إلى رؤية ثاقبة [(1)]، وهذه الرؤية هي عملية رسم ما يدور في خلد الشخصية وترجمة لغوية لبنات أفكاره على شكل رموز كتابية .[(2)]

وهذه الرموز تتجسد بالمشاهد الوصفية التي يوظفها الكاتب والتي أعطت للنص طاقة تعبيرية مكنت المتلقي من الوقوف على تلك النصوص وتحليلها وتقليبها على أكثر من وجه وأكثر من هيئة، وهذا ما يمنحه قيمة فنية أدبية، فضلاً عن أنّه يعبر عن إمكانية فذة من الكاتب تساعده على التلاعب بالألفاظ ونسج الجمل بالطريقة التي تمكنه من التعبير عن أفكاره بطرائق مختلفة، وهذا ما يجنبه العديد من المشكلات التي قد تصاحب كتابة أي عمل، ولاسيما الضغط الاجتماعي أو الأيديولوجيات الحاكمة أو الأفكار والثقافات التي تسير باتجاه مغاير لما يطرق الكاتب؛ لذلك فهو يحاول جاهداً أن يترك انطباعاً خاصاً في نفس المتلقي يمكنه من استمالة القارئ والحصول على تأييده وكسب رأيه، وهذا ما يجسده الوصف النفسي الذي اعتمده الكاتب:

((- انفجرت القبضات فتناثر باب الغرفة شظايا، هم دائماً يأتون في آخر الليل، يعبرون ممرات غامضة، ومسافات لا تحد. لقد أعطيتهم كل مالدي، لم يبقَ شيء ممكن أن يؤخذ الصحراء تمتد حتى البحر، وليس لدي الكثيّر منها، مساحة ضيقة.. واسعة، أجل واسعة نصف مطار، ولكنها لا تتسع لأكثر من ثلاثين كيساً من الذرة ، سريرين .. وطاولة رملية آلاف من النمل الابيض.. الابيض حتى الرعب..)).[(3)]

إن فلسفة الكاتب تعني الحاجة إلى الأمان والاستقرار واحترام إنسانية الإنسان فهو يشعر دائماً بالاستلاب وعدم الراحة والاستقرار النفسي ، والقارئ لهذا النص يجد أن ايدولوجيات اقتحمت أسلوب الشخصية ، وعبرت هذه الشخصية بأسلوبها ولغتها عن موقفها إزاء ما يجري من أحداث وما يحيط بها من ظروف، فالملاحظ على العبارات التي أوردها من: (تناثر شظايا الغرفة) و(هم دائماً يأتون في آخر الليل)، و(يعبرون ممرات غامضة)، (أعطيتهم كل ما لدي، لم يبقَ شيء يمكن أن يؤخذ) هذه جميعها تدل على أن الشخصية تعيش حالة من اليأس والاستلاب والقهر، فهذا التنوع الكلامي والتعدد اللغوي والأسلوبي في الرواية جاء ليعكس التعدد في وجهات النظر في الرواية ؛ لأنّ هذا النوع هو وجهات نظر خاصة إلى العالم، ونوع من أنواع الوعي بالكلمة[(4)]، فضلاً عن رائحة الرفض والثورة على الكثير من القضايا والفساد الذي ينخر جسد المجتمع.

وهذا واضح أيضاً في وصف الكاتب لانتشار النمل الأبيض بكثرة حد الرعب في الغرفة أو المنزل الذي يسكنه في تلك الصحراء، فللنمل دلالة خاصة كونه يُعدُّ آفة لمالكي المنازل التي يوجد فيها مثل هذا النوع من النمل كونه؛ يتغذى - كما هو معلوم- على الأعشاب ووجوده في المنازل يعمل على تدميرها فهو من الحشرات الخطيرة التي تؤثر في المنازل وتسبب أضراراً بالمباني والأسقف والأرضيات وهو ما يسمى أيضاً (بالأرضة) " فخروج النمل في حجرها غم والنمل والعمارة لا يجتمعان أبداً" [(5)]، وهذه واحدة من الأساليب التي تعبر عن الحالة النفسية للشخصية ولاسيما عند وصف المكان الذي تقطن فيه ؛ لأن ذلك يساعدنا في إمكانية استبطان الشخصية ومحاولة وصف شعورها بما حولها ؛ لأن الاستبطان "هو الوسيلة الوحيدة لدراسة بعض الظواهر والأحوال النفسية كالأحلام وأحلام اليقظة والحالة الشعورية للشخص في أثناء انفعال الخوف أو الغضب "[(6)] كما هو واضح ، وهذا ما يفسر الحالة النفسية للشخصية وهي تصف أجواء الغرفة التي تعيش فيها؛ لأنَّ لعلاقة الشخصية بالمكان الدور الأساس في تشكيل الفضاء الروائي الذي يحقق في كثير من الأحيان بروز الإيقاع المكاني في الرواية " حيث يتناغم هذا الإيقاع مع العوالم الداخلية والخارجية للشخصيات، فضلاً عن الأحداث والأفكار التي تغّير الإيقاعات المكانية بتغييرها، يستند هذا الأمر إلى حقيقة عدّ المكان عند الكاتب أداة

(1) في الوصف بين النظرية والنص السردي، محمد نجيب العمامي، دار محمد علي الحامي، تونس، جانفي، ط1، 2005: 11.
(2) ينظر: الحوار في الخطاب، دراسة تداولية سردية في نموذج من الراوية العربية الجديدة، الطاهر الجزيري، مكتبة آفاق، الكويت، ط1، 2012 : 150 :.
(3) الرواية :84.
(4) ينظر: الكلمة في الرواية ، ميخائيل باختين، ترجمة: يوسف حلاق، منشورات وزارة الثقافة، بيروت، ط1، 1988: 50.
(5) تفسير الأحلام وتعطيره ، قديمه وحديثه، لابن سيرين والنابلسي، جمع وتحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، د. ت: 698.
(6) أصول علم النفس، احمد عزت راجح، دار القلم، بيروت، د.ت : 46.

فنية تسهم في تطوير الأحداث واستظهار واقع الشخصية[1]" ، هذا فضلًا عن أن المكان " يسهم في تطوير الأحداث وفي بعث الحركة الدرامية بما يكتنفه من صراعات نفسية ومادية، وهو في الوقت نفسه، دلالة يرمز بها المؤلف إلى معانٍ خفية، تتصل بواقع الحدث، وبواقع الشخصية "[2] ، فأنت في كثير من الأحيان تستطيع أن تطلع على أحوال الشخصية من خلال المكان الذي تعيش فيه أو تتردد عليه؛ لما يمنحه من صبغة معينة على تلك الشخصية نستطيع من خلاله استجلاء بعض الأمور والاطلاع على الظروف والأحوال المحيطة بها؛ لأنَّ الشخصية لها نصيب كبير من المكان الذي تعيش فيه لشدة علاقتهما مع بعضها وتأثير كل منها في الآخر إلى درجة أن يصبح المكان هوية للشخص الذي يعيش فيه ورمزًا له في بعض الأحيان، وأن من يضطلع بإبراز هذا الدور للمكان وتوضيحه هو الوصف، الذي يُعدُّ الأساس الذي تقام عليه الرواية؛ لما يقدمه من خدمة في بناء أحداثها، فضلاً عن ما يؤديه في سبيل تحديد إطار الحدث" فهو واحد من الأدوات الأساسية التي يستخدمها الكاتب الروائي ضمن ما يستخدمها من أدوات أخرى، يوظفها من أجل رصد مظاهر الحياة التي تصفها الرواية من أماكن وأشياء وأحياء ومناظر الطبيعة المختلفة، ومظاهر الشخصيات الفردية وبيئتها الاجتماعية، سواء أكانت هذه البيئة في المدينة أم في الريف، وذلك وفقاً لتعاقب الفصول والشهور، وما يتسم به كل من ملامح وصفات."[3] ، كما هو واضح في هذه المشهد:

((- كان يركض بكل ما أعطاه الزمن من خوف، وعندما حاول أن ينظر خلفه ليطمئن إلى المسافة التي تفصله عن تلك المخالب انقض عليه أحد الكلاب وانتزع المعطف عن جسده. البرودة الصباحية تتغلغل في أضلاعه. لكنه لم يكن يحس بها.. كلب آخر قفز باتجاه جسده.. وانتزع القميص..

قال في نفسه: حتى هذا القميص !!

البرودة تستقر في رئتيه.

كلب آخر يقفز باتجاه جسده، باتجاه الكتلة الضامرة النازفة، كلب آخر.. آخر.. آخر.. آخر.. بعد ساعات من الهرب المتواصل استغرقت النهار كله اكتشف أنه أصبح عارياً.. وأنه ما زال يركض)).[4]

هذا الوصف النفسي لحال الشخصية يعمل على تفسير أحداث سابقة أو لاحقة أو تفسير الرواية برمتها أو تفسير الشخصية بسماتها المميزة وتحديد البيئة المؤطرة لها، وقد يعمل هذا الوصف على خلق معناه الخاص الذي يسميه (جان ريكاردو) بالوصف المبدع أي الدال الرامز[5]، وهذا ما يحصل بالفعل، فالكلاب رمزية خاصة أراد الكاتب أن يُعبِّر عنها، وملاحقتها للشخصية وتمزيقها لها ولملابسها حتى تركتها عارية، إنما يحمل دلالة خاصة ويحمل أفكاراً وأيديولوجيات يريد إيصالها إلى المتلقي مستعيناً في ذلك بالقص وما وراء ذلك القص.

إن الأنظمة والقوانين الحاكمة في العديد من البلدان العربية سلبت المواطن حقه في العيش في بيئة صحية تمكنه من الشعور بالرضا والقبول أو حتى الانتماء لما يحيط به ، فالتخطيط غير المدروس والآلية التي تعمل وتسير وتنظم حياة الناس تحتاج إلى الكثير من التصحيح وإعادة النظر، كونها تلقي بظلالها على حياة الناس، وهذا ما انعكس سلباً على مشاعرهم وعلى أوضاعهم النفسية، وخير دليل على ذلك هي حالة الخوف والقلق والمطاردة من الكلاب والتيه والتمزق والضياع الذي تعانيه الشخصيات، ولولا الوصف لما استطاع الكاتب أن يمنح المتلقي فرصة التعرف على شخصياته وعلى الظروف التي تحيط بها. وتكوين انطباع معين عنها. والملاحظ على شخصيات (إبراهيم نصر الله) يجدها مزيجاً من شخصيات حقيقية موجودة على أرض الواقع أراد أن يرمز لها بشخصية من شخصياته، وهذا ما يسمى (بالرمز الوصفي) وهو ذلك الوصف " الذي يتقصد تقديم معنى باطني تحيل إليه المظاهر الخارجية للوصف، ولا يكتفي بالدلالة الظاهرة أو التعريف الأولي بالموصوف، وهو من هذه الناحية احترافي ومتعلق ببنى الموصوف العميقة لا بأشكالها وسطوحها، على الرغم من أن بوابة الدخول إلى تلك العوالم الباطنية العميقة تمرُّ عبر الوصف الشكلي في الغالب"[6] وهذا الأمر يتكرر كثيراً في الرواية التي يحيل عنوانها (براري الحمى) دلالة واضحة على مضامينها وموضوعاتها التي تعالجها:

_ انبسط المخفر أمامك ألقيت التحية لم يجب أحد، ضابطٌ هو رئيس المخفر .. وشرطيان.. وأربعة جدران من العري والملل واللزوجة واستلقاء بتأرجح بين الحجر المنتشر في الهواء.. والمقاعد الخشبية الطويلة كتلك التي تنتشر في المقاهي عام نظر الضابط إليك كأنك لست موجوداً..وحك أحد الشرطيين ساقه بشدة .. وأدار الآخر وجهه إلى الحائط .[7] ، إن الوصف المقدم لمخفر الشرطة الذي قصدته

(1) ينظر: اسلوبية السرد العربي، مقاربة اسلوبية في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ، رشاد كمال مصطفى، دار الفرقان، دمشق، ط1، 2015: 73.
(2) المكان أداة ودلالة في روايات نجيب محفوظ ، محمد عبد الحكم الباقي، مجلة القاهرة، العدد (92)، لسنة 1989: 17.
(3) تقنيات اللغة في مجال الرواية الأدبية، محمد العيد تاورتة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة منتوري، قسطنطينية ، العدد (21)، لسنة 2004 : 56-57.
(4) الرواية: 34.
(5) ينظر: قضايا الرواية الحديثة ، جان ريكاردو، ترجمة: صياح الجهيم ، دمشق ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1977: 97.
(6) ثنائيات أدور الخراط النصية، دراسة في السردية وتحولات المعنى، احمد خريس، دار أزمنة للتوزيع ، عمان، 1998: 2000.
(7) الرواية: 15- 16.

الشخصية بهدف التخفيف من وطأة وحدة الشعور الذي تعيشه يحمل أبعاداً ودلالات تتناغم مع الحالة النفسية للشخصية، وتحمل البؤس والمعاناة ذاتها التي تشعر بها الشخصية ؛ لأن المكان يتناغم مع معطيات العناصر الأخرى بما يعزز نهوضه بالنص والتأثيث لمستويات وردود أفعال، تنطوي عليها الشخصيات ضمن علاقتها الحميمية أو الرافضة لدينامية الفعل القصصي الذي يتنامى مع تداخل وتسامي هذه العناصر. [1]؛ لِما للمكان من تأثير في الشخصية ومن خلاله تقدم الرؤية الوصفية، فضلاً عن أنواعه وأنماطه التكوينية وما يمكث في داخله من أشياء.

المناجاة:

نوع من أنواع الحوار الداخلي الذي يُعدُّ وسيلة من وسائل التفاهم والتواصل المادي والمعنوي والروحي بين الناس كونه يُعدُّ ضرورة إنسانية واجتماعية وثقافية وحضارية [2] تناجي من خلاله الشخصية نفسها وفيه يتم " تقديم المحتوى الذهني والعمليات الذهنية للشخصية مباشرة من الشخصية إلى القارئ ولكن مع افتراض وجود الجمهور افتراضاً صامتاً، وهو أقل عشوائية وأكثر تحديداً من المونولوج الداخلي"[3] ، ومن وظائف هذا النوع من الحوار تعدد وجهات النظر التي تحاصر الشخصية الواحدة [4] ، كون هذا النوع من الحوار يعكس الصراع الداخلي الذي تعيشه الشخصية، فضلاً عن أنه " يشكل تطوراً مرحلياً لوعي واحد، وليس لأنماط متعددة من الوعي وهذا يعني أن في هيمنة هذا الحوار هيمنة للمتعدد داخل الواحد"[5] ، والمناجاة تقنية توظف في المسرح حيث ترتبط به، فهي كما يسميها البعض مونولوج منطوق، أو مونولوج خارجي ، أمَّا المونولوج الداخلي فهو غير منطوق[6] والأمثلة على المناجاة كثيرة في الرواية ومتعددة بتعدد الأغراض والأهداف التي يعمل الكاتب على توظيفها من أجلها :

((- قلت لعلهم مضوا به إلى سبت شمران، هنالك المقبرة أكثر، ولها سور ترابي يحصنها ويحفظ حرمتها من أقدام العابرين على الرغم من أنها المهبط المفضل لرفوف الغربان)).[7]

إنَّ للحوارات الداخلية التي وظفت في الرواية الدور الكبير في تعزيز التعدد الصوتي للرواية، وهذا ما تم تحقيقه بطبيعة الحال، فقد أعطتنا المناجاة وجهات نظر متعددة واستطاع الكاتب من خلالها أن يعكس لنا الصراع الداخلي للشخصية، ويعبّر عن الأفكار المتناقضة التي تحملها، وهذا واضح مع بطل الرواية الذي يعيش حالة من الشدة والضيق والتأزم في الحاضر، وهو يعيش على أمل أن يعرف مصير صديقه الذي فُقِدَ فجأةً :

((- صحوت هذا اليوم.. فلم أجد زميلي الذي يسكن معي في الغرفة. وجدت حقيبته في فراشه.. أما هو فلم أعثر له على أثر)).[8]

هنا قمة العجز والشعور بالإحباط إلى درجة أن الشخصية أصبحت تعاني انشطار الذات فهي لشدة الوضع الذي تعيشه، ولدرجة التأزم الذي وصلت إليه أخذت تبحث عن نفسها، تبحث عن ذاتها، عن وجودها، إن تقديم أحداث بهذه الطريقة يُعدُّ انجازاً عظيماً للكاتب الذي وضع بين أيدينا عملاً خاصاً ، يخضع الإنسان للحقيقة المؤلمة التي تفرضها طبيعة الأمكنة التي وضع فيها إلى درجة أنك لا تستطيع التمييز فيما إذا كانت الأحداث حقيقية أم أنها من نسج خيال الكاتب، وهذا يعود إلى الإمكانية الفذة التي يتحلى بها الكاتب التي ولدت لنا عملاً إبداعياً يتماهى فيه الواقع مع الخيال والحقيقة مع الحلم، فقد أبدع (نصر الله) في خلق الدور الإيهامي في بناء الأحداث وأقصد بالإيهامي" خلق الإحساس عند المتلقي بأن ما يقرأه حقيقة لا خيال" [9] ؛ لأنَّ ما يميز حوارات الرواية الداخلية (المناجاة) أنها تُعبِّر عن واقع مليء بالصرعات الداخلية فتستنطق ما في داخل الشخصيات، ليمتزج الحلم بالواقع والحقيقة بالخيال فتزداد أحداث الرواية حرارة وحيوية وحركة، وفي ذلك كشف لأعماق الشخصيات وإظهار لما تخفيه في داخلها من أحاسيس ومشاعر وحواجز وموانع تكبل الشخصية وتفرض عليها واقعاً معيناً سواء كان سياسياً أو اجتماعياً؛ لهذا فإن هذا النوع من الحوار، يكون أكثر وضوحاً وأفضل طريقة لنقد الواقع وطرح التناقضات التي يعاني منها المجتمع، فضلاً عن أنها تفرض قسوة الواقع المرير الذي ترزح تحت وطأته الشخصية، إنّ ما يميز هذا النوع من الحوار هو غياب الراوي أو المؤلف، فالكلام يكون بضمير المتكلم. وهذا ما ساعد على الكشف عن رؤية الشخصية وتحديد نمط وعيها وأفكارها وإظهار خلجاتها النفسية، فالشخصية هنا تحاول استظهار قضية غاية في الأهمية وطرحها إلى الواقع من أجل مناقشتها وتوضيح أبعادها وتسليط الضوء عليها، وهي حالة القهر

---

(1) ينظر: جماليات النص وتنوع الخطاب: قراءة في منجز حسن سليفاني الأدبي، إعداد وتقديم ومشاركة: خليل شكري هياس، دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، ط1، 2021: 184.

(2) الرواية اليوم، مالكوم براد بري، ترجمة : احمد عمر شاهين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1، 1996: 11.

(3) تيار الوعي في الرواية الحديثة، روبرت همفري، ترجمة: محمود الربيعي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000: 56.

(4) ينظر: تشظي الزمن في الرواية الحديثة ، أمينة رشيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط1، 1998: 193.

(5) المتكلم في الخطاب الروائي، د.إبراهيم جنداري، مجلة التربية والعلم ، جامعة الموصل ، العدد (25)، لسنة 2000: 43.

(6) ينظر: قاموس السرديات: 115.

(7) الرواية: 14- 15.

(8) الرواية: 16.

(9) بناء الرواية : دراسة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا احمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ط، 1984: 82.

والاستلاب التي يعيشها الإنسان في (براري الحمى) ذلك الامتداد الشاسع الذي تختفي فيه معالم الإنسان وصفاته لا يفرق بين جنس أو شكل ، حيث تختفي الأنوثة والرجولة وتختفي الذاكرة وتعم الفوضى، وسط هذه الصحراء الواسعة الامتداد التي تولد شعوراً بالعجز والضياع ، لذلك تلجأ الشخصية إلى المناجاة بهدف إبراز حوارية الرواية من خلالها والتي ساعدت على استظهار المشاعر المتعددة التي تعيشها الشخصيات ووجهات النظر المختلفة والمتحاورة ، فكان حوار الشخصية ومناجاتها مع نفسها، هو السمة المميزة والطاغية على حوارات الرواية ، ليصبح هذا الحوار الصيغة الضافية على النص والملاذ للمواجهة التي يكتمها البطل ليداري بها ضعفه وعجزه عن المجاهرة والتفكير بصوت مرتفع لما يحمله من رؤى وأفكار متناقضة ولغة الشخصية تجسد أزمنة فكرية، وهي ليست أزمة جزئية ، بل هي أزمة شاملة ؛ إذ يظهر تأزمه الفكري وقلقه إزاء معرفة الحقيقة .

((- سبت شمران.. حاول الأستاذ محمد أن يجد امتداداً لها في روحه. هكذا قال ذات مرة .. حاول أن يجد لها أفقاً في قلبه.. فعرف أن التنافر هو الصلة الوحيدة التي تربطه بها. ها هي الآن تفتح صدرها الموحش.. نوافذها.. التي تهب منها الرياح الساخنة.. وتشرع شوارعها للصمت. كلما مر بها غريب خيل إليه أن حرباً قد وقعت.. حصدت الحركة وتركت الحجارة، هي حرب غير معلنة بين دبيب الحياة. وهدأة الجثث..))[1] ، هنا نجد أن هنالك توافقاً بين لغة الشخصية وأسلوبها وبين فكره والمستوى الثقافي والاجتماعي الذي يحمله، فجاءت اللغة ملائمة للروح والموقف والحالة التي هي عليها، فضلاً عن أن هذه اللغة لم تخل من مفردات السياسة والثورة والنقمة على الأوضاع التي تعيشها الناس في تلك المناطق ولا سيما (سبت شمران) ، هذا المكان الذي لا يوحي بأي وجود للحياة، أو حتى الامتداد في نفس الشخصية التي وجدت مجبرة على أن تكون في هذا المكان، قرية لا تشبه القرى تعيش وحيدة معزولة عن العالم تتناوشها الأمراض والأسقام ، وانعدام أبسط مقومات الحياة :

((- قرية لا تشبه القرى..وتشبهنا حين توزعنا على غرف صغيرة بسقوف من عيدان الذرة بأبواب بلا أقفال .. وليالٍ طويلة بلا ضوء. تتركنا عرضة ليديها.. تستعيدنا من غفوتنا وبين أسنانها نسمع تهشم أضلاعنا، تجترنا ثم تتركنا للحمى والوحدة القاتلة..)).[2]

هنا يتدخل عنصرا الزمان والمكان وكأنهما وجهان لعملة واحدة، بل ويطغى المكان ليتحول إلى عنصر حي وفاعل في الأحداث تم توظيفه للتعبير عن مجموعة من الأحداث، منها ما هو سياسي أو ثقافي أو هو ذاتي يرتبط بشخصية البطل (محمد) وعلاقته مع باقي الشخصيات في الرواية. فالشخصية الإنسانية كما يراها (يونغ) " لا تقتصر حدودها على التجربة الفردية، وإنما تمتد لتستوعب التجربة الإنسانية للجماعة الموغلة في القدم ، وأن هذه الشخصية تحتفظ بقراراتها بالنماذج والأنماط العليا التي تختمر في الثقافة الإنسانية عبر الأجيال المختلفة، هذه النماذج والأنماط العليا تدخل في تركيب طريقة التخيّل الإنساني، وطريقة التصور، وطريقة الشعور، وفي منظومة القيم والفاعلية النفسية للإنسان" [3]، فالكاتب يحاول عن طريق هذا النوع من الحوار الداخلي استظهار ما في دواخل الشخصيات وأحاسيسها وهي تصدر بصوت خافت غير مسموع، نستطيع من خلاله أن نطلع على طريقة تفكير الشخصية وعلى ما يعتلج في داخلها والأسباب التي تقف وراء عجزها ووراء مظاهر حزنها أو فرحها :

((- يحزنك.. أعرف أن ذلك يحزنك.. أن تلوح بيدك الآن، دون أن تلمح بشراً لملم يديك.. لست في البحر. فالقطرات على جبينك محيط واسع متخم باللهب والثلج وبالزحف، بالطيران، بالموت، وبالحياة، وبالحقيقة حين تسكن صورتين، أجملها طعنة الحمى.. أو هوَّة الهذيان..)) .[4]

هذه المناجاة تجعلنا نطلع على طريقة تفكير الشخصية والبواعث والأسباب التي تقف خلف تصرفاتها وسلوكها في بعض المواقف، هذا فضلاً عن امتلاك الكاتب للخبرة الناجحة عن المقدرة العالية في قراءة الأحداث ورسمها، مستعيناً بمخيلته الفذة الواسعة التي تمكنه من سرد أحداث وقصص تحاكي واقع وملامح شخصيات بكل تفاصيلها ، ثم عرضها لنا بطريقة مميزة تجعلنا نشعر وكأننا نعيش أيامهم بكل تفاصيلها وحيثياتها، على الرغم من اختلاف النظام وطريقة الحياة وطبيعة الأشخاص والمكان والزمان الذي تعيش، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلُّ على قدرة الكاتب ودربته وتمكنه من أدواته التي ساعدته على رسم ووصف صور الواقع بالطريقة التي يريدها. ((- أحياناً يسرقك هذا الخراب ويوزعك تزيف الوقت البطيء.. حزناً لا يمحى، على الرغم من أنك لا تميل إلى الحزن، هذا المخلوق الضامر الذي أكلته كل أمراض العالم، من الرشح حتى السرطان مروراً بالسل والأنفلونزا ..

-سبت شمران حاول الأستاذ محمد أن يجد امتداداً لها في روحه هكذا قال ذات مرة .. حاول أن يجد لها أفقاً في قلبه.. فعرف أن التنافر هو الصفة الوحيدة التي تربطه بها)) [5]

---

(1) الرواية: 19.
(2) الرواية : 20.
(3) مناهج النقد المعاصر ، صلاح فضل، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2002: 62.
(4) الرواية: 55.
(5) الرواية: 19.

إن لوصف المكان وعلاقته بساكنيه ووصف ما يجري من أحداث وما يدور في دواخل الشخصيات من أفكار ومشاعر هو هدف الكاتب الذي يروم من خلاله إعطاء المتلقي إمكانية الوصول إلى باطن الشخصية ومعرفة مكوناتها والطريقة التي تفكر فيها يساعده في ذلك ضمير المتكلم الذي استندت إليه رواية الأحداث، وما لهذا الضمير من قدرة على منح الرواية المصداقية والحرارة والثقة ؛ كونه يؤدي بذلك أكثر من دور، الأول هو الراوي للأحداث، والثاني دور البطل المشارك فيها، وهنا يتمكن الكاتب من بلورة أحداث روايته بالاتجاه الذي يريده لها ويدير دفة الصراع كما يشاء، وهذا واضح على طول خط سير الأحداث التي يجد فيها القارئ نفسه مأخوذاً داخل دهاليز الصحراء دون أن يمتلك لنفسه حرية الاختيار، فقد جعل الكاتب الواقع يمرُّ عبر الاستعمال المكثف لمجموعة من الحوارات الداخلية للشخصية التي وظّفها الكاتب في عملية بناء الشخصيات والأحداث وبالتالي تقديمها إلى القارئ .

الخاتمة والنتائج :

- القارئ لرواية براري الحمى يجد أنها أكثر تعلقا بالإنسان من خلال قدرتها على التأثير والتأثر، ولا سيما عن طريق دراسة هموم الإنسان ومشاغله، وما فيه من صراعات جسدية ونفسية على حد سواء ، وتأثير تلك الصراعات في حياته وهذا ما جعل الكاتب يعمد في روايته إلى خدمة قضايا الإنسان التي تُعدُّ شغله الشاغل لتكون البوصلة التي توجه مسار السرد وعملية بناء الشخصيات .
- اهتم الكاتب في روايته بالتعرض للقضايا ذات الصلة بتجارب الحياة اليومية للأفراد، وتفاعلاتهم واهتماماتهم، وهذا ما يساعد الكاتب كثيراً في إنجاح مهمته ؛ لأنَّ الشخصية الروائية يمكن تحديدها انطلاقاً من أفعالها، وأدوارها وعلاقاتها ووظائفها وقيمتها، فالنص السردي ينظر إليه من المعنى الكلي الذي تحمله الشخصية .
- استطاع الكاتب أن يوظف الجانب النفسي ببراعة شديدة، بل تقمص الشخصية، وهذا ما جعل السارد يتماها مع الشخصية بحالتها ودوافعها السايكولوجية، فجاء الوصف والحوار على أفضل ما يكون، دون أن يترك ذلك أثراً للمغالطات أو الانحيازات، حيث استطاع أن يتعامل مع الأحداث بواقعية حيّة تصور ما يجري بدقة عالية .
- ساعدت الحوارات الداخلية على تقصي الحياة الباطنة للشخصيات، والقارئ للرواية يجد أنها تقوم بشكل أو بآخر على هذا النوع من الحوارات، ومن التعددية الصوتية، التي أضفت عليها طابعاً خاصاً يحاول الراوي من خلالها إبراز حدة الأفكار المتشابكة والمتداخلة في أعماق البطل ودواخله .
- استعان الكاتب بالحوار الداخلي في تطوير الأحداث واستحضار الحلقات المفقودة منها، إلا أن عمله الحقيقي في هذه الرواية هو رفع الحجب عن مشاعر الشخصيات وأحاسيسها وعواطفها المختلفة، وعلاقتها مع غيرها من الشخصيات .
- إن للحوارات الداخلية التي تم توظيفها في الرواية الدور الكبير في تعزيز التعدد الصوتي للرواية، وهذا ما تم تحقيقه بطبيعة الحال، فقد أعطتنا المناجاة وجهات نظر متعددة، استطاع الكاتب من خلالها أن يعكس لنا الصراع الداخلي للشخصية، ويعبر عن الأفكار التي تحملها .
- استطاع الكاتب أن يقدم لنا وصفاً خاصاً للمكان مستعيناً بذلك بالمفردات التي ينتزعها من البيئة التي تعيش فيها شخصياته، ليصور لنا ما تقع عليه عينه فيقدمه بطريقة فنية بعيدة عن الإنشاء الأجوف؛ ليعكس لنا بذلك طبيعة الحياة التي تعيشها تلك الشخصيات، وتأثير المكان في تشكيل الحالة النفسية التي هي عليها، والمرتبطة بطبيعة حياتها.
- تمكن الكاتب من تجسيد الواقع الذي تعيشه بعض الشخصيات، وهو يعرض لنا ذلك الواقع بكل همومه وتفاصيله الدقيقة مستعيناً بجماليات الخطاب السياسي، الذي يشكل في عصرنا الحاضر ضرورة ملحة تفرضها حاجة الإنسان، الذي أصبح لا يستطيع العيش بمعزل عن التفكير في هموم الواقع .
- إن فلسفة الكاتب تعني الحاجة إلى الأمان والاستقرار واحترام إنسانية الإنسان، فهو يشعر دائماً بالاستلاب وعدم الراحة والاستقرار النفسي، والقارئ لرواية الكاتب يجد أن أيديولوجيات اقتحمت أسلوب الشخصيات، لتعبِّر من خلالها تلك الشخصيات عن موقفها إزاء ما يجري من أحداث وما يحيط بها من ظروف، فضلا عن رائحة الرفض والثورة على الكثير من القضايا والفساد الذي ينخر جسد المجتمع .
- إن الأنظمة والقوانين الحاكمة في العديد من البلدان العربية سلبت المواطن حقه في العيش في بيئة صحية تمكنه من الشعور بالرضا والقبول أو حتى الانتماء إلى ما يحيط به، فالتخطيط غير المدروس، والآلية التي تعمل وتسير وتنظم حياة الناس تحتاج إلى الكثير من التصحيح وإعادة النظر؛ كونها تلقي بظلالها على حياتهم؛ وهذا ما انعكس سلباً على مشاعرهم وعلى أوضاعهم النفسية .

المصادر :

- جيرالد برنس، قاموس السرديات ، ميريت للنشر والمعلومات القاهرة ، 2003، 295.
- حسن البدراني، لعبة الضمائر، دراسات في النص القصصي من عام 1979- 1996، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2011، 312 .

- رشاد كمال مصطفى، أسلوبية السرد العربي (مقاربة أسلوبية في رواية الشحاذ لنجيب محفوظ)، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق، سورية ، 2015، 220 .
- سعيد علوش، معجم المصطلحات الادبية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985، 440.
- سيد الوكيل، أفضية الذات - قراءة في اتجاهات السرد المصري - الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة، 2006 ،350 .
- طه وادي ، دراسات في نقد الرواية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1989 ، 185.
- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، دار النهار للنشر، 2002، 265 .
- ليون أيدل، القصة السايكولوجية، المكتبة الأهلية ، بيروت ، 1959، 192 .
- محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، الرابطة الدولية للناشرين المستقلين ، 2010، 340.
- منال عبد العزيز، تجليات علم السرد، قراءات تنظيرية وتطبيقية ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت 2018 ، 460.
- ميخائيل باختين، المتكلم في الرواية، مجلة فوصول - المجلد الخامس، العدد(3)، لسنة ١٩٨٥ – 220- 260.

References

-Jirald Birinsi, Qamus AlSardiaat , mirit lilnashr walmaelumat alqahirat , 2003, 295.

- Hasan AlBadrani, Luebat AlDamayira, dirasat fi alnasi alqasasii min eam 1979- 1996, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, alqahirati, 2011, 312.

- Rshad Kamal Mustafaa ،'Uslubiat AlSard AlEarabii (Muqarabat 'Uslubiat Fi Riwayat AlShahadhi Linajib Mahfuz), dar alzaman liltibaeat walnashr waltawzie , dimashqa, suriat , 2015, 220.

- Saeid Ealush, Muejam AlMustalahat AlIadbiati, dar alkitaab allubnani, bayrut, 1985, 440.

- Sid AlWakili, 'Afdiat AlDhaat - Qira'at Fi Aitijahat AlSard AlMisrii - alhayyat aleamat liqusur althaqafat , alqahiratu, 2006 ,350 .

-Tah Wadi , Dirasat Fi Naqd AlRiwayat , alhayyat aleamat lilkitab , alqahirat , 1989 , 185 .

-Ltif Zituni, Muejam Mustalahat Naqd AlRiwayat , maktabat lubnan , nashirun , dar alnahar lilnashri, 2002, 265.

- Liun 'Aydil, AlQisat AlSaaykulujiatu, almaktabat al'ahlyt , bayrut , 1959, 192.

- Muhamad AlQadi Wakhrun, Muejam AlSardiaati, alraabitat aldawliat lilnaashirin almustaqiliyn , 2010, 340.

- Manal Eabd AlEazayza, Tajaliyat Eilm AlSarda, Qira'at Tanziriat Watatbiqiat , muasasat alaintishar alearabii , bayrut 2018 , 460.

- Mikhayiyl Bakhtin, AlMutakalim Fi AlRiwayati, Majalat Fawusul - almujalad alkhamisi, aleadadi(3), lisanat 1985 - 220- 260.